الملك عبد العزيز

يعلن

◎ إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة .

◎ إني استقبلت الطريق إلى مكة غير باغ ولا آثم

بقلم: الأستاذ عبد الواحد محمد راغب

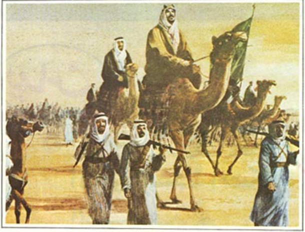

• الملك عبد العزيز في طريقه لمعركة لتوحيد المملكة •

إن من يمعن النظر في تاريخ الملك عبد العزيز، يلمس بعض المواقف التاريخية التي تعطي مؤشرات واضحة للسمات التي اتسمت بها شخصية الملك عبد العزيز، والتي كان من أبرزها الحكمة، وحصافة الرأي.

فلقد اتسمت أعماله بالتروي والتأني في بعض المواقف .. وفي بعضها الآخر غلب عليها طابع السرعة، والمبادأة، والمفاجأة .. كان يتروى في موقف يرى فيه أن التروي أفضل، حتى يكاد من حوله من رجاله ـ في بعض الأحيان ـ أن يضيقوا من هذا التروي(١) كما كان يسرع في بعض المواقف الأخرى حتى لا يكاد يجاريه في سرعته أحد ممن حوله .. فتنقطع أنفاسهم للحاق به.

فحين زحف إلى الرياض لاستردادها عام ١٣١٩هـ، وبالذات عندما قرب منها «ليلة المصمك» تحرك بسرعة مدهشة، وقد كانت السرعة، والمفاجأة من أهم أسباب انتصاره يومها .. وفي المقابل نراه حين خرج من الرياض متجهاً إلى الحجاز عام ١٣٤٣هـ، يعلن على ملأ من الناس، بل على العالم أجمع: «إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم التي أرهقت كاهل العباد .. إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة، وتأييدها..» .. انظر إلى الكلمة التي استعملها، ونطق بها «إني مسافر..» فلم يقل إني ذاهب لأفتح، أو لأحرر .. مثلاً .. وذلك مراعاة منه لحرمة بيت الله .. فلكل مقام مقال .. ونراه يكتب إلى بعض حكام العالم العربي والإسلامي، قائلاً لهم: «.. لقد استقبلت الطريق إلى مكة غير باغ ولا آثم..»[٢].

فلقد رأى ـ بحكمته وحصافة رأيه ـ أن الموقف هنا يختلف عنه يوم أن زحف إلى الرياض .. هنا الكعبة، وبقية الأماكن المقدسة، ومشاعر المسلمين معلقة بها .. والمحافظة على قدسية الأماكن المقدسة، ومراعاة شعور المسلمين حيالها .. يضعها في الاعتبار الأول .. ولذا أعلن ذلك على الملأ .. وركب الطريق متجهاً صوبها، في رحلة استغرقت خمسة وعشرين يوماً، سجلها يوماً بيوم، وساعة بساعة ـ وقتها ـ يوسف ياسين[٣] .. ولقد دخل عبد العزيز مكة محرماً، ملبياً ومكبراً، وذلك بعد أن أصدر تعليماته إلى قواده وجنوده بتنكيس أسلحتهم، والسير إلى الكعبة في خضوع وخشوع .. وقد ابتهل إلى الله أن يوفقه لخدمتها، والمحافظة عليها .. وقد سجل التاريخ أنه حفظها، وصانها، ووفر لأهلها الأمن والطمأنينة، فحفظه الله، وأعلى جانبه..

وموقف آخر ـ لحكمته وحصافة رأيه ـ وما أكثرها من مواقف ـ وهو أن التاريخ يحكي لنا أن عبد العزيز حين استرد الرياض، وما حولها من منطقة نجد، ما لبث أن قام بضم الأحساء سنة ١٣٣١هـ، وحائل سنة ١٣٤٠هـ، وعسير سنة ١٣٤١هـ، وغيرها من المناطق، وكان يعلن في كل مرة عن انضواء المنطقة الجديدة إلى دولته، حتى كانت عشية زحفه للحجاز عام ١٣٤٣هـ يطلق عليها «السلطنة النجدية

وملحقاتها» وكان لقبه «سلطان نجد وملحقاته» .. لكننا نرى الموقف يختلف هنا بعد ضمه لمنطقة الحجاز، فلم يعلن انضواءها تحت لواء السلطنة النجدية، كسابقاتها من المناطق، وإنما صار يطلق عليها «المملكة الحجازية» وأصبح لقبه «ملك الحجاز، وسلطان نجد وملحقاته» .. وكان في مقدوره أن يفعل ذلك لأنه تربطها روابط وثيقة من وحدة الدين، واللغة، والأصل والنسب، والوحدة الجغرافية والمناخية، والتاريخية، وعدم وجود فواصل طبيعية بينها، بل هما امتداد لبعضها، واندماج كاندماج الجزء في الكل .. لكنه رأى أن يدع ذلك حتى يندمج الناس بعضهم ببعض، وعندئذ يطلبون هم أنفسهم هذا الاندماج النظامي، بعد تحقق الاندماج في الحقيقة والواقع، ويسعون إليه، ويرغبون فيه، فيكون رغبة لا رهبة .. وقد تحقق بالفعل ما رآه عبد العزيز.

برقيات

ورُفعت إلى الملك برقيات من جهات مختلفة لتحقيق الأمل الآنف ذكره، تؤيد فكرة توحيد أجزاء المملكة، وتسميتها باسم لا «إقليمية» فيه، ولا تفريق بين جزء وآخر، وكان ذلك ما يجول في نفس عبد العزيز، فصدر الأمر الملكي بنظام «توحيد المملكة»:

نظام توحيد المملكة

وفي ١٧ جمادى الأولى أصدر جلالة الملك المعظم الأمر الملكي الآتي تحت رقم ٢٧١٦:

بعد الاعتماد على الله وبناء على ما رفع من البرقيات من كافة رعايانا في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ونزولاً على رغبة الرأي العام في بلادنا وحباً في توحيد أجزاء المملكة العربية أمرنا بما هو آت:

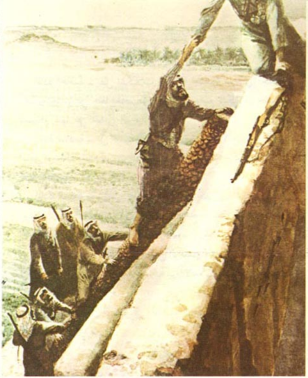

الملك عبد العزيز يتسلق سور المصمك في ٥ شوال ١٣١٩هـ

المادة الأولى ـ يحول اسم «المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها» إلى اسم «المملكة العربية السعودية» ويصبح لقبنا بعد الآن «ملك المملكة العربية السعودية».

المادة الثانية ـ يجري مفعول هذا التحويل اعتباراً من تاريخ إعلانه.

المادة الثالثة ـ لا يكون لهذا التحويل أي تأثير على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات الدولية التي تبقى على قيمتها ومفعولها وكذلك لا يكون له تأثير على المقاولات والعقود الإفرادية بل تظل نافذة.

المادة الرابعة ـ سائر النظامات والتعليمات والأوامر السابقة والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول بعد هذا التحويل.

المادة الخامسة ـ تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة سواء في الحجاز ونجد وملحقاتها على حالها الحاضر مؤقتاً إلى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد.

المادة السادسة ـ على مجلس وكلائنا الحالي الشروع حالاً في وضع نظام أساسي للمملكة ونظام لتوارث العرش ونظام لتشكيلات الحكومة وعرضها علينا لاستصدار أوامرنا فيها.

المادة السابعة ـ لرئيس مجلس وكلائنا أن يضم إلى أعضاء مجلس الوكلاء أي فرد أو أفراد من ذوي الرأي حين وضع الأنظمة السالفة الذكر للاستفادة من آرائهم والاستفادة بمعلوماتهم.

المادة الثامنة ـ إننا نختار يوم الخميس الواقع في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ الموافق لليوم «الأول من الميزان» يوماً لإعلان توحيد هذه المملكة العربية، ونسأل الله التوفيق.

صدر في قصرنا في الرياض في هذا اليوم السابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ.

(التوقيع) **عبد العزيز**

بأمر جلالة الملك
نائب جلالته فيصل

● الهوامش والمراجع ●

(١) انظر ما قاله جلالة المغفور له الملك فيصل في مقدمة كتاب «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» للزركلي. جـ١ ص ٢٣.

(٢) انظر فيا سبق، كتاب «البلاد العربية السعودية» فؤاد حمزة وأمين الريحاني «نجد وملحقاته» ص ٣٥٩، والزركلي «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» جـ١ ص ٥٧.

(٣) نشرها بجريدة أم القرى تباعاً، ابتداء من العدد الأول ١٣٤٣/٥/١٥ هـ. وقامت وزارة المعارف بتكليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ بجمعها في كتاب وطباعته تحت عنوان «الرحلة الملكية» وذلك عام ١٣٩٣ هـ.

(٤) انظر «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» جـ٢ ص ٥٦١، و«البلاد العربية السعودية» لفؤاد حمزة ص ٨٤.